التقاء الصوامت وأثره فى بناء الكلمة

دراسة وصفية

دكتور

أحمد إبراهيم محمد بني عطا

أستاذ اللغة والنحو المساعد فى قسم اللغة العربية

بكلية التربية ــ جامعة حائل

المملكة العربية السعودية

التقاء الصوامت وأثره فى بناء الكلمة
دراسة وصفية

دكتور
أحمد إبراهيم محمد بني عطا
أستاذ اللغة والنحو المساعد فى قسم اللغة العربية
بكلية التربية ــ جامعة حائل
المملكة العربية السعودية

مقدمة

يتناول هذا البحث إحدى الظواهر اللغوية الهامة التى تختص فى بناء الكلمة ولها دور كبير فى إحداث تغييرات على بناء الكلمة فى العربية، وهى: (التقاء الصوامت وأثره فى بناء الكلمة).

وفى تناولى لهذه الظاهرة تحدثت بداية عن نظرة القدماء ومفهومهم لها، فهم يتناولونها تحت مظلة تسمية أخرى: التقاء الساكنين ومن هنا وجدت من الواجب الحديث عن مدى صحة هذه التسمية، بل عن مدى صحة وجود الحرف ساكنا لا يتعلق بشىء فى الكلمة.

فتحدثت عن علاقة الصامت (الساكن) بغيره من وجهة نظر القدماء ثم تحدثت عنها من وجهة نظر المحدثين .

والسنة التى اتبعناها فى مناقشة قضايا التقاء الصوامت وأثره فى بناء الكلمة أننا نعرض رأى القدماء ووجهة نظرهم للقضية المعنية ثم نعرض إلى بعض الظواهر التى فسرها القدماء استنادا إلى وجهة نظرهم وكيف خرجوها بناء على ما قدموه.

وبعد ذلك نعرض لوجهة نظر الدرس اللغوى الحديث الذى يستند إلى الحقائق العلمية ولا نلجأ إلى الافتراضات البعيدة والتكلف الاعتباطى، فإن كانت وجهة نظر الدرس اللغوى الحديث يختلف عن وجهة نظر القدماء فإنه لابد من تفسير آخر لتلك الظواهر التى قدمها السلف، خاصة أن الدرس اللغوى الحديث يستند إلى معطيات علم الأصوات ويوظفها فى خدمة تفسير الظاهرة، كما يستند إلى المقارنات السامية، لأن اللغات السامية يشهد بعضها لبعض وهى عون كبير فى تخريج كثير من قضايا اللغة ٠

تحدثنا عن التقاء الصوامت فى بداية الكلمة، تطرقنا إلى وجهة نظر القدماء وتفسيراتهم ثم إلى وجهة نظر الدرس الحديث وما فيه من آراء جديدة ، وبعد ذلك تحدثنا عن التقاء الصوامت فى حشو الكلمة بالأسلوب ذاته ٠

وأخيرا تحدثنا عن التقاء الصوامت فى آخر الكلمة . ولم يخل العرف من مناقشة القدماء والمحدثين فى بعض ما ذهبوا إليه. راجيا من الله تمام الفائدة وغاية المعرفة ٠

التقاء الصوامت وأثره فى بناء الكلمة:

تناول السلف الظاهرة اللغوية بالبحث والدراسة وحاولوا جاهدين أن يجدوا لكل ظاهرة لغوية قالبا تنصب فيه ويستوعبها، سعيا منهم لضبط اللغة ووضعها فى خط سير مستقيم، وإن أدى بهم ذلك إلى بعد التأويل والافتراضات البعيدة والتكلف ٠

ولعلهم بعملهم هذا كانوا يسعون إلى خلق اللغة المضبوطة بقواعد: اللغة المثالية. والحقيقة أن هذا ضرب من المستحيل، لأن اللغة المثالية حلم من الأحلام، ذلك أن اللغة من أصعب الأشياء على

الضبط والربط، كالإنسان تماما الذى لا يمكن ضبطه بقواعد لا ينحرف عنها.

وعقدوا لهذه الظاهرة أبوابا خاصة فى كتبهم، وخرجوا كثيرا مما سموه بالتقاء الساكنين، بمعنى أن التقاء الساكنين له تأثير بالغ فى بناء الكلمة، ففى (الكتاب) نجد بابا بعنوان: "تحريك أواخر الكلم الساكنة إذا حذفت ألف الوصل لسبب التقاء الساكن"[1] وبالتالى فبسبب التقاء الساكنين قد تحرك بعض الصوامت، وقد يحذف بعضها، وقد تخلق صوامت لم تكن موجود بسبب هذه الظاهرة، فهى ذات تأثير واضح فى بناء الكلمة فى العربية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن تسمية القدماء لهذه الظاهرة تختلف عن تسمية الدرس اللغوى الحديث، فالقدماء يسمونها: التقاء الساكنين. وبالتالى فإن الحرف قد يكون ساكنا وقد يكون متحركا، ومعنى ساكن عندهم غير مرتبط بحركة ولكن الدرس اللغوى الحديث يرفض ذلك .

إن "التسمية (بالأصوات الصامتة) أفضل من تسميتها بالأصوات الساكنة، ذلك لأن المصطلح "ساكنة" أو "ساكن" قد يؤدى إلى اللبس، ربما يفهم البعض أن المقصود هو الحرف المشكل بالسكون، كما فى قولهم "مبنى على السكون أو مجزوم وعلامة جزمه السكون أما المقصود بالأصوات الصامتة فهو كل الأصوات ما عدا الحركات"[2].

(١) الكتاب، سيبويه، تحقيق: عبدالسلام هارون ٤/ ٥٣٥ .
(٢) علم اللغة العامة د/ كمال محمد بشر ــ دار المعارف بمصر ٣٤/٢ ــ ١٩٧٥م.

إن نظرة القدماء إلى ما يسمونه (الحرف الساكن) تختلف عن نظرة الدرس اللغوى الحديث والتى سنفصلها فى حديثنا عن الساكن وعلاقته بغيره بعد قليل ٠

مما لا شك فيه أن الكلمة فى أى لغة تتكون من أصوات متحدة وفق نظام خاص، يقول فندريس: "فى كل لغة ترتبط الأصوات بعضها ببعض ارتباطا وثيقا، فهى تكون نظاما متجانسا مغلقا تنسجم أجزاءه كلها فيما بينها ... فاللغة لا تتكون من أصوات منعزلة"(١) ٠

يرى القدماء أن الحرف قد يكون متحركا وقد يكون ساكنا فى الكلمة، يقول الزجاجى: "بنت العرب كلامها على متحرك وساكن، وجعلوا التحريك معاقبا للإسكان"(٢) ومن وجهة نظر السلف فإن الساكن والمتحرك لا علاقة للواحد بالآخر، فكلاهما حرف مستقل عما قبله وبعده، وكل ما فعلناه أن ربطنا الكلام على متحرك وساكن لإنشاء الكلام ٠

والحقيقة التى يؤكدها الدرس اللغوى الحديث يرى أن الأصوات ترتبط بالحركات وأنه لا وجود للصامت بدون حركة كما أنه لا وجود للحركة بدون صامت ــ ولعل ذلك يتضح من خلال البنية المقطعية للكلمة فى العربية، فأقل ما ينطق هو المقطع، ويعرف المقطع بأنه: "أقل مجموعة من الأصوات تحتوى على حركة واحدة، يمكن الابتداء بها والوقوف عليها"(٣) فالصامت إذا تحرك وتبع الحركة التى تليه

(١) اللغة، فندريس، تعريب: عبدالحميد الدواخلى ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية ص٤٥ ٠
(٢) الإيضاح فى علل النحو، الزجاجى، مازن المبارك، ص٩٨ ٠
(٣) من مظاهر المعيارية فى الصرف العربى، مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى د/ فوزى الشايب، العدد (٤٤) ص٧٦ ٠

كان بداية مقطع، وإن سكن تبع الحركة التى قبله كان نهاية مقطع Yasrab = yas + rab

فالمقطع الأول (Yas) قمته هى الفتحة (a) وقاعدته الياء والشين وهاتان القاعدتان مشدودتان إلى [الحركة ـ الفتحة (a)] وكذلك المقطع الثانى (rab) وبالتالى فإن الشين ، التى قال عنها القدماء بأنها حرف ساكن لا علاقة لها بغيرها فى حقيقة الأمر تابعة للحركة التى قبلها، وهذا يعنى أنها مشدودة للحركة قبلها لأنها ـ الشين ـ تشكل القاعدة الثانية من المقطع : (yas) كما أن الياء تتبع الحركة التى بعدها (الفتحة)، والذى نخلص إليه: أنه لا وجود للصامت بدون حركة[1] .

أولا : التقاء الصوامت فى بداية الكلمة:

درس القدماء هذه الظاهرة فيما سموه: البدء بالساكن، وهم يجمعون على أنه لا بدء بساكن فى العربية، وأنه إن وقع الحرف الساكن فى بداية الكلمة وجب التخلص من هذا الوضع، ويتم التخلص عن طريق إحضار همزة الوصل يقول الرضى: "وإذا فرضت أول الكلمة تريد النطق بها ساكنا، وذلك مما لا يجىء بالعربية فى ابتداء الكلام إلا مع همزة الوصل"[2] فلا يجوز أن تبدأ الكلمة إلا بحرف متحرك، وعلى ذلك فسروا تحقيق الهمز إن وقع أولا فى لغة من يسهلونه، يقول الفارسى : "كل حرف فى أول الكلمة تبتدئ بها من اسم أو فعل أو حرف فهو متحرك، ولا يبتدئ بحرف ساكن فى الكلمة العربية، والدليل على أنهم لا يبدؤون بالساكن أنهم لم يخففوا الهمزة إذا كانت فى أول كلمة يبدأ بها، نحو: (أإن رأت رجلا أعشى) لأن فى

(١) المرجع السابق، العدد (٤٤) ص٧٧ .
(٢) شرح شافية ابن الحاجب، الرضى الاستربازى ، دار الكتب ، بيروت ٢/ ٥٠ .

تخفيفها تضعيفا للصوت وتقريبا من الساكن فلما لم تبتدؤوا بالساكن لم يبتدؤوا بما قرب إليه[١]، فهمزة الوصل هى الوسيلة التى يتم بواسطتها التخلص من البدء بالساكن.

أما عن المواطن التى تأتى فيها همزة الوصل: فهى ترد فى كل فعل احتوى على أكثر من أربعة أحرف (استخرج، انطلق) ومصدره (استخراج، انطلاق)، وتجب أيضا فى أول الأمر من الثلاثى (اضرب، امض) ولم تحفظ فى الأسماء التى ليست مصادر إلا فى عشرة أسماء: اسم، است، ابن ، ابنة، ابنم، امرئ ، امرأة، اثنين، اثنتين، ايمن فى القسم ، ولم تحفظ فى الحروف إلا فى (ال) [٢].

وفى حديث القدماء عن استحالة البدء بحرف ساكن قالوا: إن تلك الكلمات التى ادعى بعضهم أنها بدأت بساكن ــ فى غير العربية ــ مثل: سطام، شتاب (فى الفارسية) إنما هى فى حقيقة الأمر مسبوقة بحركة خفية، يقول الرضى: "إن الابتداء بالساكن لا يجئ بالعربية، ويوجد فى الفارسية نحو: سطام، .... ومع ذلك تجد نفسك أنك تتوصل إلى النطق بالساكن بهمزة مكسورة فى غاية الخفاء، حتى كأنها من جملة حديث النفس، فلا يدركها السامع، ثم تجهر بالحرف الساكن فى أول الكلمة فيتحقق لك أن إزالة النطق بالساكن بالكسرة ... من طبيعة النفس وسجيتها إذا خليتها وشأنها[٣] .

والقدماء يتمايزون فيما بينهم فى إمكانية نطق الكلمات التى تبدأ بهمزة وصل فيما لو لم نتخلق همزة الوصل قبل الساكن الأول،

---

(١) الكلمة، أبى على الفارسى، تحقيق: حسن فرهود، جامعة الرياض ص١٤ .

(٢) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محىالدين عبدالحميد ٤/ ٢٠٧ .

(٣) شرح شافية ابن الحاجب، الرضى ٢/ ٥١ .

فبعضهم كابن يعيش عده متعذرا، يقول: "إذ النطق بالساكن متعذر"[١] وصاحب الإنصاف عده محالا، يقول عن همزة الوصل: "إذ لو زيدت ساكنة لئلا يبتدئ بالساكن لكان تقدير السكون منها محالا" ويقول: "القاصد للفظ بالساكن ... كان تقديره محالا[٢] أما ابن جنى فقد عده متعسرا لا متعذرا وقال: يجئ هذا فى الفارسية نحو: سطام، ذكر ذلك الرضى فى شرح الشافية: "الأكثرون على أن الابتداء بالساكن متعذر وذهب ابن جنى إلى أنه متعسر لا متعذر وقال: يجئ ذلك بالفارسية: سطام"[٣] والرضى بعده مستحيلا ومن قال به فقد توهم، والذى ينطق به يعمد إلى كسرة خفية وهذا من طبيعة النفس كما هو فى نصه السابق[٤] .

وينفى ابن يعيش أن يكون البدء بالساكن لغة من لغات العرب، يقول: "إن الحرف الذى يبتدئ به لا يكون إلا متحركا، وذلك بضرورة النطق به، إذ الساكن لا يمكن الابتداء به، وليس ذلك بلغة، ولا أن القياس اقتضاء، وإنما هو من قبيل الضرورة وعدم الإمكان، فقد ظن بعضهم أن ذلك من لغة العرب لا غير، وأن ذلك ممكن وهو فى لغة قوم آخرين، ولا ينبغى أن نتشاغل بالجواب عن ذلك، لأن سبيل معتقد ذلك سبيل من أنكر العيان وكابر المحسوس، وقد جاءت ألفاظ بنوا أولها على السكون من الأسماء والأفعال إلا أنهم زادوا فى أولها همزة الوصل وسيلة للنطق بالساكن.

---

(١) شرح المفصل للزمخشرى ، ابن يعيش ٩/ ١٣٢ .
(٢) الإنصاف فى مسائل الخلاف، ابن الأنبارى، شرح وتحقيق: محمد محىالدين، مسألة ١٠٧ ، ٢/ ٧٣٧ .
(٣) شرح شافية ابن الحاجب ، الرضى ٢/ ٥٥ .
(٤) شرح مفصل الزمخشرى ، ابن يعيش ٩/ ١٣٢ .

إذ النطق بالساكن متعذر، وأصل ذلك الأفعال والأسماء محمولة عليها[١] وفيما يخص حركة همزة الوصل فقد اختلف القدماء فى أصل حركتها، فذهب الكوفيون إلى أن الأصل فى حركتها أن تتبع حركة عين الفعل فتكسر فى (اضرب) إتباعا لكسرة العين، وتضم فى (ادخل) إتباعا لضمة العين ٠

وذهب البصريون إلى أن الأصل فيها أن تكون متحركة مكسورة، وإنما تضم فى (ادخل) ونحوه لئلا يخرج من كسر إلى ضم لأن ذلك مستثقل، ولهذا فليس فى كلامهم شىء على وزن (فعل) بكسر الفاء وضم العين[٢]٠

ويرى القدماء أن همزة الوصل لا تثبت عند الدرج أو حين تسبق بلفظ آخر، يقول ابن يعيش : "وإثبات شىء من هذه الهمزات فى الدرج عن كلام العرب ولحن فاحش"[٣]٠

ويعلل ذلك لأنه زيادة من غير حاجة ولذلك قيل إن تسميتها بهمزة الوصل: "لأنها تسقط فى الدرج متصل ما قبلها إلى ما بعدها ... وقيل سميت وصلا لأنه يتوصل بها إلى النطق"[٤] ٠

ويرى ابن جنى أن ذلك ــ سقوطها فى الدرج ــ هو سبب اختيارها دون غيرها من الحروف يقول: "فإن قال قائل، ولم اختيرت الهمزة ليقع الابتداء بها دون غيرها من الحروف كالجيم والطاء وغيرها؟ فالجواب: أنهم أرادوا حرفا يتبلغ به الابتداء، ويحذف فى الوصل للاستغناء عنه بما قبله ... فجعلوه الهمزة لأن العادة فيه

(١) المرجع السابق ٩/ ١٣٢ ٠
(٢) الإنصاف فى مسائل الخلاف ، ابن الأنبارى ، مسألة ١٠٧ ، ٢/٧٣٧ ٠
(٣) شرح المفصل ٩/ ١٣٧ ٠
(٤) سر صناعة الإعراب ، ابن جنى ١/ ١٢٧، ١٢٨ ٠

أكثر الأحوال حذفها للتخفيف وهى مع ذلك أصل، فكيف بها إذا كانت زائدة[1] .

بعد عرض وجهة نظر القدماء وحديثهم عن همزة الوصل، لا نجدهم يتحدثون عن كيفية تخلق همزة الوصل، فهى ليست من الحروف الهجائية عندهم، كما أنها ليست من الحركات لديهم ومع ذلك يحضرونها وكأنها جاهزة لديهم، وحديث ابن جنى عن سبب اختيارها يشعرنا أنه أقرب ــ بداية ــ إلى أن تكون همزة مخففة زائدة.

وفى الحقيقة لا نقع على تفسير علمى صحيح لماهية همزة الوصل إلا من خلال وجهة نظر الدرس اللغوى الحديث الذى يفسر سبب وكيفية تخلقها، وما هى حركتها الأصلية (تلك التى كانت قضية خلاف بين القدماء) .

وقبل الحديث عن كيفية تخلق همزة الوصل، لابد من توضيح الحقيقة التالية:

تلك الكلمات التى جاءت همزة الوصل فى بدايتها ليست على الوصف الذى وصفها إياها القدماء فهى لم تبدأ بساكن لاجتلاب همزة الوصل إليها. إن الوصف العلمى الصحيح لتلك الكلمات يتم من خلال النظر إلى البنية المقطعية لتلك الكلمات ومن خلال خصائص وسمات البنية المقطعية .

فكلمة مثل (اضرب) لو جردت من همزة الوصل لصارت (ضرب) (drib) ويلاحظ من ذلك أن المقطع مبدوء بصامتين (dr) ومن أبرز خصائص البنية المقطعية فى العربية أنه :

(١) المرجع السابق ١/ ١٢٧ ــ ١٢٨ .

"لا يلتقى صامتان فى مقطع واحد فى بداية الكلمة ولا فى حشوها ولا فى آخرها إلا فى حالة الوقف حيث يلتقيان فى آخرها"(١).

والوصف الصحيح لتلك الكلمات التى سبقت همزة الوصل أنه التقى فيها صامتان فى مقطع واحد فى بداية الكلمة . وهذا لا يجوز أن يكون مستندا إلى خصائص البنية المقطعية للكلمة فى العربية، وفى ذلك يقول بروكلمان: "لا يمكن حسب قوانين المقاطع فى اللغات السامية أن يلتقى صوتان صامتان فى أول الكلمة، وذلك فإنه إذا وجد مثل هذين الصوتين فى صيغة ما، نشأت حركة جديدة قبل الصوت لأول ونادر بعده، وكونت معه مقطعا مستقلا(٢) .

فابتداء المقطع بصوتين صامتين لا يجوز عربيا ولا ساميا، ففى هذه الحالة كما ينص بروكلمان تنشأ حركة جديدة قبل الصوت الأول "وهذه الحركة المساعدة فى العربية هى الكسرة"(٣).

وبالتالى فإنه يتخلق حركة قبل الصامت الأول وهذه الحركة هى الكسرة فى بداية المقطع ، إلا أن هذا الوضع يوقعنا فى محظور آخر فخالف فيه خاصية أخرى من خصائص البنية المقطعية فى العربية وهى "يجب أن يبدأ المقطع بصامت فلا وجود فى العربية لمقاطع

(١) أثر القوانين الصوتية فى بناء الكلمة فى اللغة العربية، د/ فوزى الشايب ص٣٤ .
(٢) فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان، ترجمة د/ رمضان عبدالتواب ص٧٣ .
(٣) فقه اللغات السامية، ص٧٣ .

تبتدئ بحركة"[١] ، وهذا فى الساميات كلها يؤكده بروكلمان بقوله: "كل مقطع يبدأ فى اللغات السامية أصلا بصوت صامت"[٢] .

وللتخلص من هذا الوضع غير الجائز فإن العربية تعمد إلى تحقيق الحركة ــ الكسرة ــ أى الزيادة فى نطقها، وبتحقق الكسرة تتخلق همزة الوصل، يقول بروكلمان: "كل حركة فى اللغات السامية تنطق فى الأصل مخففة، بمعنى أنها تسبق بهمزة"[٣] وللتمثيل على ذلك نأخذ الفعل (اضرب) لنفسر تخلق همزة الوصل فيه، فهو فى الأصل مقطوع من المضارع: يضرب، بإسقاط حرف المضارعة، حركة الأخير فيصير: ضرب، فهنا بدأ المقطع بصامتين فيجب التخلص من ذلك عن طريق الفصل بين الصامتين بإنشاء مقطع جديد فتضاف حركة قبل الصامت الأول : ضرب ثم تحقق الحركة لأنه لا يجوز أن تبدأ المقطع بالحركة فتتخلق همزة الوصل: اضرب ويتضح ذلك لاتينيا: idrib ... drib ... yadribu

وبهذا يحل الخلاف بين من قالوا: إن الأصل فيما يضاف هو الهمزة والحركة ومن قالوا إن الذى يضاف هو الهمزة وحدها ثم حركت للتقاء الساكنين.

فالذى يضاف حقيقة هو حركة ولكن هذه الحركة تحقق ويزاد فى نطقها حتى تصير همزة وصل واستنادا إلى ما سبق أنها تحل الخلاف الذى نشب بين القدماء فى أصل حركة همزة الوصل كما رأينا سابقا، فهى لا تتبع حركة عين الفعل ولا تكون ساكنة ثم تكسر كما ذهب الكوفيون، ولعل رأى البصرة أقرب الآراء للصواب فقد قالوا إن الأصل فيها أن تكون متحركة مكسورة، وكما اتضح سابقا

(١) أثر القوانين الصوتية فى بناء الكلمة فى اللغة العربية ص٣٤ .
(٢) فقه اللغات السامية، ص٧٣ .
(٣) المرجع السابق، ص٧٣ .

فإن الأصل فى التخلص من الصامتين إن وقعا فى مقطع واحد فى بداية الكلمة أن يسبق الصامت الأول بكسرة ثم تحقق تلك الكسرة فتنتج همزة الوصل أما تفسير الضم فى نحو (ادخل) فهو بداعى المماثلة ذلك أن الكسرة تتحول إلى ضمة مماثلة لضمة مجاورة أو (واو) كما أن الضمة تتحول إلى كسرة مماثلة لكسرة مجاورة أو (ياء) وهذه ظاهرة لغوية شائعة فى العربية، وبالتالى فإن الحجازيين يحققون الهمزة إن وقعت أول الكلمة وهم من عادتهم تخفيفها لأنهم إن خففوها فى البداية، أدى ذلك إلى أحد أمرين:

الأول: ابتداء المقطع بحركة، وذلك بإسقاط الهمزة وحدها.
الثانى: التقاء صامتين فى مقطع واحد بإسقاط الهمزة وحركتها.
وكلاهما أمر مرفوض[1].

ويرى بعض المحدثين مثل الأستاذ الدكتور كمال بشر "أن ذلك الصوت الذى يظهر فى أول (اضرب) و(استخرج) ... والذى يرمز إليه بالألف فى الكتابة ليست همزة، بل هو على فرض وقوعه نوع من التحريك الذى يسهل عملية النطق بالساكن، وهذا التحريك قد يختلط على بعض الناس فيظنونه همزة ... وفى حقيقته تحريك أو من الأفضل تسميته (صويت) يؤدى وظيفة التوصل إلى النطق بالساكن[2] ويرى الدكتور بشر أن ذلك الصويت ليس كسرة ولا ضمة وإنما هو حركة مركزية=e= [*] (central vowel)وهى نوع من

(١) أثر القوانين الصوتية ، فوزى الشايب ٣٤ .
(٢) دراسات فى علم اللغة، كمال محمد بشر، دار المعارف ١٩٧٥ ، ١٤٣/٢ ــ ١٤٤ .
(*) الحركة المركزية .. هى الحركة التى تكون أعلى نقطة فى اللسان حين النطق بها هى وسطه.

التحريك ... ليس أكثر من صويت خفيف لا يمكن عده من نظام الحركات أو الأصوات الصامتة فى العربية.

لكن داود عبده يخالف كمال بشر فيما يذهب إليه، يقول عبده: "إن الحركة الأولى فى (انتصار) هى ذاتها فى (لم أطلب انتصار) وهى ذاتها فى (بنت) بمعنى بعدت، وحاول أن تلفظ الجزء الذى يبدأ بالياء وينتهى بالتاء فى (لم أطلب انتصار) نجد أنه لا يختلف عن لفظ كلمة (بنت) فإذا كانت الحركة التى تلى الباء فى الفعل (بنت) أو الاسم (بنت) هى كسرة، فلابد أن تكون الحركة التى أضيفت بعد باء (اطلب) فى العبارة السابقة هى كسرة كذلك".

ويرى الدكتور عبده: "أن الذى يضاف لتجنب البدء بصوتين صحيحين متواليين هو حركة فقط[1] ، أما عند سؤاله: عن البدء بحركة مخالفة للنظام الصوتى فى الكلمة العربية، فماذا يفعل فى هذا الموقف الذى يتطلب البدء بصامت؟

يقول: قبل الإجابة عن هذا السؤال، إن نطق الحركة فى العربية على ثلاثة أنواع:

١ - نوع يحدث فيه تنسيق تام بين أعضاء النطق التى تشترك فى نطق الحركة، ففى لحظة بدء مرور الهواء لنطق الحركة يكون الوتران الصوتيان قد اتخذا الوضع الذى يسمح لهما بالذبذبة التى تصاحب الأصوات المجهورة، كما فى الفرنسية والإنجليزية.

٢ - نوع يسبق فيه نطق الحركة وما يصاحبه من ذبذبة الوترين الصوتين، انغلاق فى الوترين فتجمع الهواء، فانفتاح للوترين فاندفاع انفجارى للهواء المحبوس (أى نطق همزة الوصل).

(١) دراسات فى الأدب واللغة، عبدالله أحمد المهنأ ، جامعة الكويت ص٨٧ .

٣ – نوع تبدأ فيه عملية مرور الهواء بين الوترين الصوتيين دون أن يسبق ذلك انغلاق ولكن قبل أن يتخذا وضعهما الملائم للبدء بالذبذبة.

ويرى أن العربى يتبع النوع الثانى فى نطقه للكلمات التى تبدأ بحركة (كما فى نطق همزة الوصل) فهو ينطق بهمزة فى بداية الكلمات الإنجليزية التى تبدأ بحركة نحو: (at on in) حين يلفظ هذه الكلمات على سجيته .. [١].

نحن إذن أمام رأيين مختلفين فالدكتور بشر يرى أن الذى يضاف ليس حركة بل نوع من التحريك (صويت)، وعبده يرى أن الذى يضاف حركة خالصة، وما يضاف فى بداية المقطع لا يختلف عما يضاف فى الحشو، فهما يعممان ما يقولانه من الإضافة إلى بداية الكلمة وحشوها وآخرها إن ورد فى آخرها.

وفى رد الدكتور عبده على رأى الدكتور بشر جواب كاف على بعد ما ذهب إليه بشر من وصف همزة الوصل.

أما ما ذهب إليه الدكتور عبده فإنه يخالف البنية المقطعية التى تقوم عليها الكلمة فى العربية وأهم سماتها أنه لا يجوز بحال أن يبتدئ المقطع بحركة، وإن حاول الدكتور عبده أن يعلل ذلك بوصفه كيفية نطقها التى ذكرها واعتبار تلك الكيفية من طرق نطق الحركات.

وهو فى حقيقة الأمر بوصفه الذى وصفه لتطور همزة الوصل فهو يصف نطق صامت لا حركة، فمن المعلوم أن الفونيمات (الأصوات) تقسم إلى صوامت وحركات، وهذا التقسيم مبنى على أسس أهمها: الأساس النطقى (الفسيولوجى) : وفيه يحدث مع

(١) دراسات فى الأدب واللغة ص٨٧ .

الصوامت عند النطق انغلاق تام كلى أو جزئى لأعضاء النطق بمعنى أنه يحدث تضييق عند النطق بالصامت أما الحركات فلا تقترن بتضييق، فمجرى الهواء طليق لا يعترضه شىء ــ وإن كان لهذا التقسيم ما يعترضه .

فقوله بانغلاق الوترين ثم انفتاحهما واندفاع الهواء المحبوس هو من وصف النطق بالصامت لأن التطبيق يحدث فى الصوامت لذلك توصف بأنها غير (أو شبه) رنينيه يحدث معها تضييق فى حجرات الرنين(١) .

فالرأى المعتمد هو ما ذكر سابقا بأن الذى يسبق الكلمات التى تبدأ بصوتين صامتين ما هو إلا حركة محققة بمعنى أنها تسبق بهمزة تمشيا مع البنية المقطعية للكلمة فى العربية وخصائصها يقول هنرى فليش: "وحيث وجب الإتيان بصامت لبداية المقطع فقد اصطلح على أن تكون (الهمزة) ونجد هذه الهمزة فى الكلمات الأعجمية مثل: إقليم، إسفنج، إفرنج"(٢).

ومن القضايا التى يثيرها داود عبده: إن العربية ربما مرت فى طور من أطوار تطورها كانت فيها الكلمات التى تبدأ بصامتين تلفظ وتنطق دون إضافة شىء فى بدايتها ثم تلاه طور أضيفت فيه حركة أو حركة مسبوقة بهمزة، ثم تلاه أخيرا ما نلفظه اليوم ففى أعظم اللهجات العربية المعاصرة ألفاظ كثيرة وصيغ تبدأ بصوتين صامتين دون إضافة أى شىء نحو: كويتى فلان، زيارة، كتاب، طلوع.

---

(١) علم اللغة العام، كمال محمد بشر ، ٢/ ٧٤ .
(٢) العربية الفصحى (هنرى فليش) تعريب: عبدالصبور شاهين ، دار الشرق ، بيروت، ط٢، ص٤٣ .

كما يرى د/ إبراهيم السامرائى الرؤية نفسها إبان حديثه عن ابتداء المقطع بصامتين صحيحين متواليين، يقول: "ووجود هذه الناحية (زيارة، طلوع...) ربما كان دليلا على أن الابتداء بالساكن فى العربية التى سبقت هذه المرحلة الفصيحة"(١).

وهذا الذى يذهبان إليه هو نقيض ما ذهب إليه ابن يعيش الذى يلغى بشده أن يكون اللفظ بصامتين فى بداية الكلمة لغة من لغات العرب ووضعه بأنه متعذر ووصفه بالاستحالة .

الحقيقة أن القول بأن النطق بصوتين صامتين فى بداية الكلمة قد كان فى طور من أطوار اللغة هو قول لا شاهد عليه فى العربية، ومن قال من القدماء بإمكانية البدء بصامتين مثل عليه بكلمات من غير العربية، وبالتالى فلا نجزم بما ذهب إليه داوود عبده وإبراهيم السامرائى إذ لا دليل ولا شاهد على ذلك . فهذا ما نخالفهما به.

أما ما نراه ونسميه اليوم فى بعض اللهجات خاصة فى الشمال الإفريقى فنوافق ما ذهب إليه داوود عبده من البدء بصامتين فى بداية الكلمة، وإلى هذا أشار بروكلمان بقوله: "وليس من النادر وجود صامتين فى أول الكلمة فى اللهجات الحديثة، ولاسيما فى شمال غربى أفريقيا، وربما كان ذلك هناك بسبب تأثير اللغات البربرية(٢).

وقد يكون بعض ذلك كما يرى عبده نفسه من النبر على كثير من اللهجات المعاصرة حيث يحذف المد القصير إذا وقع مقطع منبور أو بعده فيقال فى: كتاب ــ كتاب، وفى مسافر ــ مسافر(٣).

(١) دراسات فى الأدب واللغة، عبدالله المهنا ، ص٦٥ .
(٢) فقه اللغات السامية، ص٤٣١ .
(٣) دراسات فى الأدب واللغة، المهنا، ص٦٥ .

ثانيا: التقاء الصوامت فى الحشو:

يرى القدماء الذين يصفون هذه الظاهرة (بالتقاء الساكنين) أنه لا يجوز التقاء الساكنين فى الحشو إلا بشروط، فصلها ابن يعيش بقوله: "والشرطان المرعيان فى اجتماع الساكنين أن يكون الأول حرف مد ولين، والثانى مدغمان كدابة، وشابة، وخويصة تصغير خاصة[1] .

والتقاؤهما بهذا الشرط وإن جاز فإن من العرب من كان ينفر منه جاء فى الهمع: "وربما فر من التقائهما فى الفصل بإبدال همزة مفتوحة من الألف"[2] قرئ:﴿ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان ﴾ ، و ﴿ ولا الضالين ﴾، وقال الشاعر:

والأرض أما سودها فتحجلت ∴ بياضا، وأما بيضها فادهأمت

ويقول شارح المفصل :

"بين ساكنين عند وجود الشرطين وذلك من قبل أن المد الذى فى حروف المد يقوم مقام الحركة والساكن إذا كان مدغما يجرى مجرى المتحرك لأن اللسان يرتفع بهما دفعة واحدة[3] .

ويرى القدماء أنه إن اجتمع ساكنان على غير الشرط الذى اشترطوه (على غير حدهما) فإنه يجب التخلص من اجتماعهما، ويتم التخلص من التقائهما إما بالحذف إن كان الأول مده، وإما بالتحريك إن كان الأول غير مده، وكلا الأمرين: الحذف والتحريك يصيبان الأول على الأصل وقد يصيب (التحريك) الثانى.

(١) شرح المفصل ٩/ ١٢٠ .
(٢) همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع ، السيوطى ١/ ١٧٦ .
(٣) شرح المفصل ٩/ ١٢٠ .

فما جاء فيه الحذف: لم يخف، لم يهب، والأصل: يخاف، يهاب، فلما دخل الجازم أسكنت اللام فالتقى ساكنان الألف لسكونها وسكون التاء بعدها.

أما حذف الياء فعليه قولهم: لم يبع، فحذفوا الياء لسكونها وسكون اللام للجزم، كذلك فى الأمر (بع، صد) .

ومع الواو حذفوا فى (لم يقم، لم يقل) والأصل يقوم، يقول، سكنت أواخرها للجزم فالتقى ساكنان فحذف الأول واشترطوا فى المحذوف أن تكون حركة ما قبله من جنسه.

أما فيما يتعلق بتحريك الصامت الأول إن كان غير مده فقد رأى جمهور القدماء أن الأصل فيه أن يحرك بالكسر نحو: اذهب، من ابنك، بغت الأمة، ولا يعدل عن ذلك إلا لعلة. ولكن صاحب الهمع يقول: "قال صاحب البسيط هذا قول النحويين، قال: ويحتمل أن يقال الفتح الأصل، لأن الفرار من الثقل، والفتح أخف الحركات، فكان أصلا. أو يقال: لا أصل فى الالتقاء لحركة، بل يقتضى التحريك خاصة وتعيين الحركة يكون لوجوه تعرض[1] وإلى ذلك أشار سيبويه بقوله: "ومنهم من يفتح إذا التقى ساكنان على كل حال إلا فى الألف واللام الخفيفة فزعم الخليل أنهم شبهوه بأين وكيف[2] .

وبالتالى فنحن أمام ثلاثة آراء فى أصل التحريك الأول: الجمهور يرى أن الأصل هو الكسرة، وبعضهم يرى الفتح، وآخرون يرون أن لا أصل وأن لكل وجه حالته التى يحدد فيها الحركة التى يقتضيها، فقد يحرك بالكسر، كما مر سابقا، وقد يحرك بالفتح: من

(١) الهمع ١/ ١٧٩ .
(٢) الكتاب ٤/ ١٥١ .

الرجل، ويقال من ابنك، ابن، كيف، وقد يحرك بالضم: "لا تنسوا الفضل بينكم" و"اخشوا الله"٠

أما السبب فى تحريك الأول بالكسر واختيار الكسر فقد ردوه إلى: "أن الكسرة لا تكون إعرابا إلا ومعها التنوين أو ما يقوم مقامه من ألف ولام أو إضافة أما الضمة والفتحة فيكونان أعرابين ولا تنوين معهما وبالتالى فإن اضطررنا إلى تحريك الساكن حركناه بحركة لا يتوهم أنها إعراب وهى الكسرة . والثانى أن الجزم مختص بصاحبه، فإذا اضطرنا إلى تحريك الساكن حركناه بحركة نظيره وهى الكسرة ولو حركنا المجزوم من الأفعال أو الساكنة بالضم والفتح لتوهم فيه أنه غير مجزوم[١] ٠

ويرى القدماء أن الحرف الساكن الأول هو الذى يحرك إن تلاه ساكن بعده وهذا هو الأصل "والسبب لأن بتحريكه يتوصل إلى التطور بالثانى فصار بمنزلة ألفات الوصل التى تدخل متحركة توصلا إلى النطق بالساكن، أما فى (أين، كيف) فقد تحرك الساكن الثانى لمانع هو أنه بتحريك الأول (الياء) يلزمها أن تقلب ألفا لتحريكها وانفتاح ما قبلها وللزم تحريك (النون والفاء) فلما كان تحريك الأول يؤدى على تغيير فقد عدل إلى تحريك الثانى[٢] ٠

ولاحظ القدماء أن (من) ترد مرة بالفتح ومرة بالكسر (من الرجل، من ابنك) وعللوا ذلك: "لما كثر هذا الحرف مع ما فيه الألف واللام كرهوا كسرة النون فأتوا إلى كسرتها مع كسرة الميم فيما يكثر استعماله فعدلوا إلى الفتح طلبا للخفة، وقد تحذف نونها مع حرف التعريف: (كأنهما ملآن لم يتغيرا)٠

(١) شرح المفصل ٩/ ١٢٢ ٠
(٢) المرجع السابق ٩/ ١٢٢ ٠

أى: من الآن ، وجعله ابن عصفور من الضرورات وكذلك ابن مالك، ونازعهما أبوحيان فقال: إنه حسن شائع لا قليل ولا ضرورة، ولو تتبعنا دواوين العرب لاجتمع من ذلك شىء كثير، فكيف يجعل قليلا أو ضرورة، بل هو كثير، ويجوز فى سعة الكلام ... واشترط لجوازه أن تكون اللام ظاهرة غير مدغمة فيما بعدها، فلا يقال: م الظالم، تريد من الظالم، ولام الليل[1] .

وميزوا بين الواو كضمير والواو من نفس الكلمة إن اجتمعت مع ساكن آخر، فهى تضم فى (اخشوا الله) وتكسر فى (لو استطعنا) وقالوا: للتفريق بينهما .

ومما يتصل بحذف الأول عند القدماء حذف التنوين إذا جاء ساكن بعده، قال الجرمى: حذف التنوين لالتقاء الساكنين مطلقا له، وعليها قرئ: ﴿أحد الله الصمد﴾ وقرئ: ﴿ولا الليل سابق النهار﴾، وقال الشاعر:

فالفيته غير مستعتب .·. ولا ذاكر الله إلا قليلا[2]

بعد عرض وجهة نظر القدماء نأتى إلى نظرة الدرس اللغوى الحديث الذى يرفض أن يلتقى صامتان فى حشو الكلمة فى مقطع واحد، وهو بذلك يخالف القدماء الذين جوزوا التقاءهما بشروط.

وهذا التباين بين القدماء والمحدثين فيما يتصل بما نحن بصدده سببه تلك النظرة التى ينظرها القدماء إلى بعض الأصوات وعدوها من الصوامت وهى فى حقيقة الأمر حركات[3] .

(١) الهمع ١/ ١٨٠ .
(٢) المرجع السابق ١/ ١٨٠ .
(٣) أثر القوانين الصوتية، د/ فوزى الشايب ص٤٣ .

لقد أباح القدماء التقاء الصامتين فى باب (شابة ودابة)، بمعنى إن كان الساكنان أولهما حرف مد وثانيهما مدغم متصل ، وهذا ما لا يراه الدرس الحديث فليس هاهنا التقاء ساكنين كما يزعم القدماء، لأن ما يسموه الألف فى (شابة، دابة، الضالين...) هو فى حقيقته حركة طويلة (فتحة طويلة) وعليه فإن الملتقيين هما حركة طويلة وصامت لا صامت وصامت.

وبعض القدماء قد لاحظ ذلك ولكنه لم يقل به، يقول ابن جنى: "...فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء، وقد كان متقدموا النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة، وقد كانوا فى ذلك على طريق مستقيم ... ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحدة منها حدث بعدها الحرف الذى هى بعضه، وذلك نحو فتحة عين (عمر) فإنك إن أشبعتها حدثت بعدها ألف فقلت: عامر[1] .

وبالتالى فإن الألف فى شابة، الضالين هى حركة طويلة ومثلها الواو ولا خير من التقاء حركة بصامت.

أما خويصة تصغير خاصة فليس فيها التقاء ساكنين، لأن الياء لا تتصل فى النطق بالصاد مباشرة، فنطقها يستوجب إتباع الياء بصويت قصير بعدها ومثلها: دويبة، فهناك حركة قصيرة تفصل بينهما[2] .

أما ما قاله السلف من أن بعض العرب يهمز الألف فى باب شابة ودابة فرارا من التقاء الساكنين وخرجوا عليه قراءة ﴿إنس ولا جان﴾ وقراءة ﴿الضالين﴾ فإنه فى الحقيقة لم يكن ساكنا كما قلنا

(١) سر صناعة الإعراب، ابن جنى ص١٩ ــ ٢٣ .
(٢) أثر القوانين الصوتية، د/ فوزى الشايب ص٤٤ .

من قبل، لأن هذه الألف هى حركة طويلة، وسبب الهمز يمكن التعرف عليه عند النظر إلى البنية المقطعية للكلمة فى العربية، إن ما يدعى "باب شابة ودابة" يشكل فى حقيقة الأمر نوعا من المقاطع يأتى فى الوصل ويأتى فى الوقف، وهو فى الوصل لا يكون إلا بعد حرف اللين (حركة طويلة) يتبعها صامت مشدد، فإن لم يله صامت مشدد فإن هذا المقطع يقصر، يقول بروكلمان: "وفى المقاطع المغلقة لا تتحمل اللغات السليمة أصلا إلا الحركات القصيرة، فإذا جاء فى بناء الصيغة حركة طويلة فى مقطع مغلق فإنها تقصر، ولا تتحمل العربية القديمة الحركة الطويلة إلا فى المقاطع المغلقة عن طريق التضعيف (dallun) ــ ضالون ــ وكذلك المقاطع التى لم تغلق إلا بعد سقوط حركة آخر الكلمة فى الوقف (dallun) [1]٠

واستنادا لما سبق فإن الحركة الطويلة يتم تقصيرها إن لم يتبعها صامت مشدد، وعليه يتم تفسير المضارع الأجوف المجزوم وأمره نحو (لم يبع، بع / لم يقل قل)، فقد قصر المد الطويل ليصير قصيرا، فقد اختزلت الحركة الطويلة وتحول المقطع من طويل مفرد الإغلاق إلى متوسط ٠

فالياء فى (يبيع) والواو فى (يقول) والألف فى (يخاف) هى حركات، ولذلك لا يجوز أن نضع كسرة تحت باء (يبيع) ولا ضمة فوق قاف (يقول) ولا فتحة فوق خاء (يخاف) لأنه يوجد حركة طويلة لهن، كما لا يجوز وضع سكون عليهن والمقطع الثانى من هذه الكلمات (بيع)، (قول)، (خاف) مقطع طويل مفرد الإغلاق (ص ح ح ص) (bi) (kul) (haf) ٠

(١) فقه اللغات السامية، ص٧٣ ٠

وهذا المقطع لا تسمح به العربية إلا فى أواخر الكلم فى حالة الوقف، فإن جاء فى الوصل فيجب أن يكون المقطع التالى له مبتدئا بصامت يماثل الصامت الذى ختم به، وهذا ما عبر عنه القدماء بالتقاء الصامتين على حدهما، وحدهما أن يكون الأول حرف لين والثانى مدغما فى مثله، وبتقصير الحركة تصير المقاطع على الشكل التالى "BI, BI, KUL HAF, FAF" ، "وقد عمم ذلك فى حالتى الوصل والوقف طردا اللباب على وتيرة واحدة فيقال: لم يقم محمد، ومحمد لم يقم"(١) .

حتى أن الدكتور رمضان عبدالتواب يرى أن كل صيغة على وزن (أفعال) قد جاءت فى العربية من هذا الطريق (الفرار من المقطع الطويل مفرد الإغلاق عن طريق جعله مقطعين).

أما فى قولهم (دعت) فليس الأمر كما وضعه القدماء والذى حدث أن الفعل فى بنيته العميقة: دعوت، سقطت الواو (شبه الحركة) لوقوعها بين حركتين وكأنه تتابع ثلاث حركات، فتلتقى حركتان هما الفتحة والفتحة يتشكل منهما حركة طويلة (دعات) والمقطع الثانى فى هذه الكلمة (عات) مقطع طويل مفرد الإغلاق، ولم يأت هذا المقطع فى الوقف؛ لأن الوقف معناه أن آخر الكلمة متحرك وعند الوقف عليه صار ساكنا، فى حين أن آخر الكلمة فى (دعات) ساكن أصلا ولأن هذا المقطع لا يكون فى الوصل إلا أن يكون المقطع الثانى له مبدوءا بصامت مدغم يماثل الصامت الذى ختم به، وهذا لم يتحقق فى (دعات) لذلك يجب تقصير الحركة الطويلة (للتخلص من القطع الطويل مفرد الإغلاق عن طريق تقصير الحركة فتصير: دعت ومثلها الناقص المتصل إلى تاء التأنيث.

(١) التطور اللغوى ، د/ رمضان عبدالتواب ٩٨ .

وعلى ما ذكر سابقا يغير قولهم: (بالعنبر فى بنى العنبر) [1] وبالتالى لا يجوز أن يلتقى صامتان فى مقطع واحد فى الحشو فى مقطع واحد.

وقولهم (بأن) فى (بان) قد التقى فيها ساكنان فهذا غير صحيح، لأن الألف حركة طويلة لا صامت ومثلها حار، حاد وتفسر مثل هذه الكلمات استنادا إلى البنية المقطعية للكلمة حيث يتضح سبب الهمز فى (بأن)، فهذه الكلمات تلفظ مقطعا واحدا هو المقطع المديد (ص ح ح ص) ولم يقصر المد الطويل فيها لأن السكون فى هذه الكلمات طارئ عليها بخلاف إذا كان السكون أصيلا فإن المد يقصر.

فإن وقعت (بأن)، حار ... وصلا لجأت العربية إلى تقسيم المديد (الواحد) والتخلص منه بحيث تصير الكلمة مقطعين (فحار) تلفظ مقطعا واحدا فى الوقف (مقطع مديد) فإن جاءت فى الوصل صارت مقطعين (حار) (ر) لأنه لا يجوز أن يلتقى صامتان فى مقطع واحد فى حالة الوصل، فهذا المقطع لا يثبت وصلا.

أما قولهم: يتحرك الصامت الأول فى (لو استطعنا)، (أو الطفل) فبعدم تحريك الصامت الأول يتشكل مقطع مرفوض فى الوصل هو المقطع الطويل مزدوج الإغلاق (ص ح ص ص) وكذلك الحال فى ﴿اشتروا الضلالة﴾ و ﴿ولا تنسوا الفضل﴾ فلكى نتخلص من هذا المقطع الذى لا يكون إلا فى حالة الوقف فقط، ونحن لسنا فى حالة وقف نقوم بتقسيم هذا المقطع إلى مقطعين، والحال نفسها فى قولنا: (اضرب الرجل) ويتم تقسيمه إلى مقطعين بإضافة حركة بعد الصامت الأول.

(١) أثر القوانين الصوتية، د/ الشايب ص٣٢ .

رأينا القدماء يختلفون فى أصل الحركة المضافة فاعتبرها بعضهم (أكثرهم) : الكسر هو الأصل وبعضهم قال: الفتح هو الأصل وقيل: لا أصل فى الالتقاء لحركة، وتعين الحركة لوجوه تخص٠

ولكن الدرس اللغوى الحديث يقرر فيه علماء الأصوات أن التخلص من التقاء الصامتين يتحقق بأى حركة من الحركات الثلاثة، وأن هناك عاملين يتدخلان فى تحديد الحركة:

الأول: إيثار بعض الحروف لحركة معينة، فحروف الحلق تؤثر الفتح، كما تؤثره حروف التفخيم، وعليه يفسر الضم من طبيعة الواو وأن النطق بالميم يستلزم مساهمة الشفتين فى هذا النطق بصورة تشبه مساهمتها فى نطق الضم والواو٠

الثانى: الميل إلى تجانس الحركات المتجاورة، وهو اقتصاد عضلى يلجأ إليه المتكلم دون شعور أو تعمد، وليست هذه الظاهرة إلا الميل إلى الانسجام بين الحركات المتجاورة، ولذلك كانت حركة التخلص من التقاء الساكنين ضمة فى (قالت اخرج) وكسرة فى (قالت اضرب) [١]٠

وبالتالى فإن طبيعة الحركة التى تضاف إلى الصامت الأول يحددها طبيعة الحرف المراد تحريكه أو مدى انسجام الحركة مع ما يجاورها من حركات وبذلك نرى أن الرأى الذى ذكره السيوطى لبعض النحاة: "لا أصل فى الالتقاء لحركة، بل يقتضى التحريك خاصة وتعيين الحركة يكون لوجوه تخص[٢] هو أصح الآراء والله أعلم٠

(١) من أسرار العربية، إبراهيم أنيس ، ط٦، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٨م ص٤٥ ٠

(٢) الهمع ٢/ ١٧٩ ٠

وما نص عليه القدماء من حذف التنوين إن تلاه ساكن فمدوه إلى تشكل المقطع الطويل مزدوج الإغلاق الذى ذكر سابقا، فيجب الفصل بين الصامتين عن طريق حذف التنوين أو التحريك الصامت الأول بحركة .

ثالثا : التقاء الصامتين فى آخر الكلمة:

يرى القدماء أن الصامتين قد يلتقيان فى آخر الكلمة فى حالة الوقف، فيجوز الجمع بين الساكنين، يقول ابن يعيش معللا ذلك: "وفى الوقف يجوز الجمع بين ساكنين، فيكون الوقف كالساد مسد الحركة كقولك: قام زيد، وهذا بكر، وإنما سد الوقف مسد الحركة لأن الوقف على الحرف يمكن جرس ذلك الحرف ويوفر الصوت عليه، فيصير توفير الصوت بمنزلة الحركة له ... ويؤيد عندك ذلك أن حروف القلقلة: (ق، ط، ب، ج، د) لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت وذلك لشدة الحفل والضغط نحو، اذهب، فالحرف الموقوف عليه أتم صوتا وأقوى جرسا من التحرك، فسد ذلك مسد الحركة فجاز الجمع بين ساكنين[1] .

ومن هنا فإنه لا يجوز الوقف على متحرك عندهم كما لم يجز الابتداء بساكن ومع أنهم يجيزون التقاء الصامتين فى آخر الكلمة إلا أن بعضهم يرى أنهما لا يلتقيان إن كان أولهما صحيحا، يقول الرضى: "الحرفان الساكنان إن كان أولهما صحيحا لا يمكن التقاؤهما إلا مع إتيانك بكسرة مختلفة غير مشبعة على الأول منهما، فيحسب المستمع أن الساكنين قد التقيا، ويشاركه المتكلم فى هذا الوهم أيضا، فإذا تظن كل منها علم أن الأول منهما كسرة خفيفة، نحو بكر، بشر،

(١) شرح المفصل ١٢/ ٩ .

بسر، حركت عين الثلاثة بكسرة خفيفة وإلا استحال أن تأتى بعدها الراء ساكنة[١] .

وهذا ما أشار إليه سيبويه من قبل بقوله: "وقالوا رأيت العلم، فلم يفتحوا الكاف كما يفتحوا التكبر[٢] حتى أننا نجد النحاة يتحدثون عن ظاهرة أسموها: الوقف بالنقل، فعند الوقوف على (بكر) فى حالة الرفع يقال : بكر، ويقال (بكر) عند الوقوف عليها فى حالة الخفض وهم يرون أن الحركة التى حرك بها الساكن الأول كانت حركة إعراب، وقد نقلت إلى الساكن قبلها، ويشترط البصريون فى نقل الحركة هنا أن تكون ضمة أو كسرة ولا يقبلون نقل الفتحة أما الكوفيون فيجيزون نقل جميع الحركات، وفى الوقت نفسه يرفض الفريقان الضمة، والكسرة فاؤه نحو (بشر، قفل) فى حالتى الرفع والخفض، فلا يقال: بشر ولا قفل ومن مظاهر الموقف غير نقل الحركة ما عرف عن بعض القبائل: الوقف بالتضعيف فى أواخر الكلمات فيقولون: خالد، عند الوقف على خالد ومن مظاهره أيضا ما نسب إلى الأزد الذين يقفون على المرفوع بنطق ضمته وإطالتها فكأنما هى واو، وإطالة الكسرة فى المجرور كأنها ياء فيقولون: "هل جاء خالدو" ، "هل مررت بخالدى؟" فى "هل جاء خالد، هل مررت بخالد" .

ومما ينسب إلى ربيعة التى كانت تقف على ضمير الغائب بحذف ألفه يقولون: "والكرامة ذات أكرمكم الله به" أى بها ومن مظاهر الوقف قلب تاء التأنيث إلى هاء، حتى تعدى الأمر عند بعضهم إلى تاء التى فى الجمع فقلبها هاء، فقد نسب إلى طئ قولهم: "ومن البناة من الكرماه" ومنه أيضا الوقف على المقصور يجعل ألفه محدده

(١) شرح الشافية ، الرضى ٣/ ٨٩ .
(٢) الكتاب ٢/ ٢٨٤ .

فيقال أفاء فى أفعى وحكى الخليل أن بعضهم يقول: رأيت رجلا، فهمز الألف لأنها فى آخر الاسم[1] .

أما ما يراه الدرس اللغوى الحديث، فإنه من الجائز التقاء الصامتين فى مقطع واحد فى آخر الكلمة فى حالة الوقف فقط، وهو إن كان جائزا فى الوقف إلا أن من العرب نفر منه فنشأت بعض الظواهر اللغوية عند الوقف على آخر الكلمة.

كالذى قيل بأنه وقف بنقل الحركة أو إطالة الحركة ومدها أو الوقف بالتضعيف أو ما نراه فى الوقف على تاء التأنيث ...

وفى الحقيقة فإن نشوء هذه الظواهر اللغوية فى حالة الوقف أساسية القرار من تشكل بعض المقاطع التى تنفر منها العربية فى الوصل، وهى إن كانت تجيزها فى الوقف إلا أنه يبدو أن أثر الوصل قد تعدى إلى حالة الوقف، فتم التخلص من (المقاطع) بنشوء تلك الظاهرة اللغوية السابقة الذكر، وهذه المقاطع المرفوضة نقصد بها: المقطع الطويل مزدوج الإغلاق (ص ح ص ص) فقد كرهوا أن يلتقى صامتان فى مقطع واحد فى الوقف كما كرهوه فى الوصل (وإن كان من الجائز الإتيان به فى الوقف) .

فكلمة (تكبر) تلفظ مقطعا واحدا ــ نوعه طويل مزدوج الإغلاق ــ يتخلص من هذا المقطع المكروه بالفصل بين الصامتين حيث يتشكل مقطعا جديدا آخر، ويتم ذلك بتحريك عين الفعل بحركة (كسرة) أو (ضمة) وليس كما ادعى القدماء نقل حركة الإعراب، لأن نقل الحركة لا دليل عليه وغير جائز .

وكل تلك الظواهر اللغوية السابقة تفسر على أساس التخلص من التقاء الصامتين فى مقطع واحد، وحتى وإن كانا فى آخر الكلمة.

(١) من أسرار العربية ، ص٦٥ .

أما فى الشعر، فهناك مسبب آخر هو التوجيه الذى تبنى عليه القصيدة (حركة ما قبل الروى) لأن اختلاف التوجيه عيب من عيوب القافية لأنه يغير النغمة الموسيقية[1].

أما ما قاله ابن يعيش عن الحرف الموقوف عليه بأنه أتم صوتا يؤيد ذلك حروف القلقة فإن الدرس اللغوى الحديث يرى أن هذه الحروف وهى ثمانية أصوات (ق، ط، ب، ج، د، ظ) هى أصوات وقفية، انفجارية أو انسدادية يتم فى نطقها ثلاث مراحل إغلاق ثم إمساك ثم انفصال مفاجئ (انفجار).

وإتباع هذه الحروف بصويت أو بحركة خفيفة عندما يكون ساكنا مرجعه إلى أن فى هذا النطق تحقيقا كاملا لخواص هذه الحروف أى تحقيقا للانفجار والجهر، فعدم وجود هذا الصويت ينشأ عنه تقليل صفتى الانفجار والجهر معا، ونطق هذه الأصوات نطقا واضحا كاملا فى حالة السكون وخاصة فى الوقف يتطلب جهدا كبيرا وذلك لأن شدتها تعنى أن الهواء عند نطقها محبوس حبسا تاما، ولأن جهرها يعنى عدم جريان النفس معها، ومن ثم وجب إتباعها بصويت أو حركة خفيفة فتنقل هذه الحروف من السكون إلى شبه تحريك فيتحقق نطقها كاملا بكل صفاتها من شدة وجهر والمرحلة الوسطى (الإمساك ــ حبس الهواء) لا تسقط مع الأصوات الوقفية فى حين قد تسقط المرحلة الأولى (الإغلاق، الانسداد) والثالثة (الانفصال) وهنا يسمى ناقصا.

(١) أثر القوانين الصوتية ، الشايب، ص٢٣ .

قائمة المصادر والمراجع

١ - أثر القوانين الصوتية فى بناء الكلمة فى اللغة العربية، د/فوزى الشايب.

٢ - الإنصاف فى مسائل الخلاف، ابن الأنبارى، شرح وتحقيق: محمد محيىالدين .

٣ - الإيضاح فى علل النحو، الزجاجى، فتح مازن المبارك، التطور اللغوى مظاهره وعلله وقوانينه، د/ رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجى ـ القاهرة، دار الرفاعى ـ الرياض، ط١ ، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.

٤ - دراسات فى الأدب واللغة، عبدالله أحمد المهنأ ، جامعة الكويت.

٥ - دراسات فى علم اللغة، كمال محمد بشر، دار المعارف ١٩٧٥م.

٦ - سر صناعة الإعراب، ابن جنى، أبوالفتح عثمان (٣٢٢هـ ـ ٣٩٢هـ)، تحقيق: أحمد فريد أحمد ، المكتبة التوفيقية.

٧ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محىالدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م٠

٨ - شرح المفصل الزمخشرى ، ابن يعيش٠

٩ - شرح شافية ابن الحاجب، الرضى الاستراباذى، محمد بن الحسن (ت٦٨٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان٠

١٠ - العربية الفصحى ، هنرى فليش، تعريب: عبدالصبور شاهين، دار الشرق، بيروت ، ط٢ ٠

١١ - علم اللغة العام، د/ كمال محمد بشر، دار المعارف بمصر ١٩٧٥ ٠

١٢ - فقه اللغات السامية، كارل بروكلمان، ترجمة د/ رمضان عبدالتواب٠

١٣ - الكتاب، سيبويه، أبوبشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠هـ)، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الجيل ـ بيروت ـ ط١ (د.ت) ٠

١٤ - الكلمة، أبى على الفارسى، تحقيق: حسن فرهود، جامعة الرياض، (د.ت) ، (د.ط) ٠

١٥ - اللغة، فندريس، تعريب: عبدالحميد الدواخلى ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية (د.ط) ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م٠

١٦ - من أسرار العربية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٦، ١٩٧٨م٠

١٧ - من مظاهر المعيارية فى الصرف العربى، مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى، د/ فوزى الشايب، العدد (٤٤) ٠

١٨ - همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع ، السيوطى ١/ ١٧٦ ٠